شبكة الألوكة
www.alukah.net

المكتبة الأوقاف العامة ببغداد

مخطوطة

كتاب الأمثال

المؤلف

محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب الامثال للعلامة
ابن القيم

شرح حديث لابن
رجب

كتاب في صحة مذهب
اهل المدينة للعلامة
ابن تيمية

كتاب غزو الجيوش الاسلامية
في الرد على المعطلة والجهمية
لابن قيم الجوزية

كتاب كشف الكربة
لابن رجب

كتاب الفواكه العذاب
للشيخ احمد بن ناصر

كتاب السياسة الشرعية
لشيخ الاسلام ابن تيمية

جواب سؤال
وردت عنه

الرقم
التاريخ
تلفون
٥٣٢٠٩٠٠

هذا كتاب الامثال
لابن قيم رحمه الله
على عشرون
جميع
المسلمين
امين

مكتبة الاوقاف العامة ببغداد
الرقم العام .....
الاسم .....
الرقم الخاص .....

من فضله سبحانه على عبده
نعمان بن السيد محمود الالوسي
المفتي ببغداد غفر لهما
في سنة ١٢٩٩

www.alukah.net

وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير البرية محمد وآله

قال الشيخ رحمه الله وقع في القرآن امثال وان امثال القرآن لا يعقلها الا العالمون وانها
شبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس احد المحسوسين من الاخر وا
عتبار احدهما بالاخر كقوله تعالى في حق المنافقين مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضا
ت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون
او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم الى قوله ان الله على
كل شيء قدير فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلا مائيا لما في الماء والنار من الاضا
ءة والاشراق والحياة فان النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي
انزل من السماء متضمنا الحياة القلوب واستنارتها وهذا سماه روحا ونورا وجعل قابليه
احيا في النور ومن لم يرفع به رأسا امواتا في الظلمات واخبر عن حال المنافقين بالنسبة الى
حظهم من الوحي انهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها وهذا لانهم دخلوا في الاسلام
فاستضاؤا به وانتفعوا به وامنوا به وخالطوا المسلمين ولكن لما لم يكن لصحته مادة من
قلوبهم من نور الاسلام طفئ عنهم وذهب الله بنورهم ولم يقبل بنارهم فان النار فيها الاضا
ءة والاحراق فذهب الله بما فيها من الاضاءة وابقى عليهم ما فيها من الاحراق وتركهم في ظلمات
لا يبصرون فهذا حال من ابصر ثم عمي وعرف ثم انكر ودخل في الاسلام ثم فارقه فقلبه نحو لا
يرجع اليه وهذا حال اكثرهم لا يرجعون ثم ذكر حالهم بالنسبة الى المثل المائي فشبههم باصحاب
وهو المطر الذي يصوب اي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم
وعقولهم اشتبهت عليهم زواجر القرآن ووعده وتهديده واوامره ونواهيه وخطابه
الذي يشبه الصواعق بحالهم كحال من اصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوفه
جعل اصبعيه في اذنيه وغمض عينيه خشية من صاعقة تصيبه وقد شاهدنا نحن وغيرنا
كثيرا من مخانيث تلاميذ بدعة الجهمية المبتدعة اذا سمعوا شيئا من ايات الصفات واحاديث
تلك الصفات النافية لبدعتهم راثتهم عنها معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة
ويقول بعضهم سد علينا هذا الباب واقرأ شيئا غير هذا وترى قلوبهم مولية وهم يحجون للقبلة
معرفة الرب سبحانه وتعالى واسمائه وصفاته على عقولهم وقلوبهم وكذلك المشركون على
اختلاف شركهم اذا جردلهم التوحيد وتليت عليهم نصوصه للبطلت اشركهم اشمأزت قلوبهم

وثقل عليهم

وثقل عليهم لما وجدوا السبيل الى سد اذانهم لفعلوا وكذلك يحدث عند الصحابي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سمعوا نصوص الثناء على الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
تثاقل لكم عليهم جدا وانكرته قلوبهم وهذا كله شبه ظاهر ومثل محقق من اخبارهم من المثل
فتفقه في المثل الذي ضربه الله لهم بالماء فانهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت امثالهم فصل
وقد ذكر سبحانه المثلين المائي والناري في سورة الرعد ولكنه في حق المؤمنين فقال تعالى
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه
في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء
اما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال شبه الوحي الذي انزله لحياة
القلوب والاسماع والابصار بالماء الذي انزله لحياة الارض بالنبات وشبه القلوب بالاو
ديه فقليل كبير يسع علما عظيما كوادي كبير يسع ماء كثيرا وقلب صغير انما يسع بحسبه كالوادي
الصغير فسالت اودية بقدرها واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها وكما ان السيل اذا
خالط اللحك ومر عليها احتمل غثاء منتنا فكذلك الهدى والعلم اذا خالط القلوب اتى
ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلها ويذهبها كما يثير الدخان وقت شربه من البدن لخلا
طه فيتكدر بها شاربه وهي من تمام نفع الدخان فانه اثارها لينفيها فانه لا يجامعها
ولا يسكنها وهكذا يضرب الله الحق والباطل ثم ذكر المثل الناري فقال ومما يوقدون عليه
في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب والـ
ـفضة والنحاس والحديد فتخرجه النار وتميزه وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به فيبقى
ويطرح ويذهب جفاء فكذلك الشهوات والشبهات يرميها قلب المؤمن ويطرحها و
يجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد والغثاء والخبث ويستقر في قرار الوادي
الماء الصافي الذي يسقى منه الناس ويزرعون ويسقون انعامهم كذلك يستقر في قرار
القلب وجدره الايمان الخالص الصافي الذي ينفع صاحبه وينتفع به غيره ومن لم يفقه
هذين المثلين ولم يتدبرهما ويعرف ما يراد منهما فليس من اهلهما والله الموفق فصل
ومنها قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الا
رض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم
قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك

فصل

نسب سبحانه الحياة الدنيا في انها تترين في عين الناظر فتروقه بزينتها وتعجبه فيميل اليها ويحولها اغتر بها حتى لظن انه مالك لها قادر عليها سلبها نعمة الحق ما كان اليها وحيل بينه وبينها فشبهها بالارض الذي ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن بناتها وروقه منظرها للناظر فيغتر به ويظن انه قادر عليها مالك لها فيا تيها امر الله فتدرك بناتها الآفة فتصبح كان لم تكن قبل فيخيب ظنه وتصير يداه صفرا منها فهكذا حال الدنيا والواثق بها سواء وهذا من ابلغ التشبيه والقياس على ما تقدم الدنيا عرضة لهذه الآفاة والجنة سليمة منها قال والله يدعو الى دار السلام فسماها دار السلام لسلامتها من هذه الآفات التي ذكرها في الدنيا فهي دار العزة الباهرة فعرف الجنة من شاء ذلك عليه وخلصه فصل ومنها قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون شبه سبحانه وتعالى ذكر الكافر ووصفهم بانهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون شبه ذكر المؤمن ووصفهم بالايمان والعمل الصالح والاخبات الى ربهم فوصفهم بعبودية الظاهر والباطن جعل احد الفريقين كالاعمى والاصم من حيث كان مغلبا عمى عن رؤية الحق لم عن سماع فشبهت بمن بصره عمى عن رؤية الحق الاشكة وصمم لم عن سماع الاصوات والفريق الاخر بصيرة القلب سميع كبصير العين وسميع الاذن فقابل الباصر بالباصر والسامع بالسامع والتسوية عن الفريقين بقوله هل يستويان مثلا ومنها قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فذكر سبحانه انهم ضعفاء حال الذين اتخذوهم اولياء اضعف منهم فهم في ضعفهم وعماية قصدوه من اتخاذ الاولياء كالعنكبوت اتخذت بيتا وهو اوهن البيوت واضعفها وبحسب هذا المثل ان هؤلاء المشركين اضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله اولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم اولياء الا ضعفا كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون وقال بعد ان ذكر هلاك الامم المشركين وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب فهذه اربعة مواضع في القرآن تدل على ان من اتخذ من دون الله وليا يتعزز به ويتكثر به ويستنصر به لم يجعل له الا ضد ما قصده وفي القرآن

اكثر من ذلك

اكثر من ذلك وهذا من احسن الامثال واد لها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وصوله على ضد مقصوده فان قيل فهم يعلمون ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فكيف نفى عنهم علم ذلك بقوله لو كانوا يعلمون فالجواب انه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت وانما نفى عنهم بان يتخذوهم اولياء من دونه كما العنكبوت لتخذت بيتا فاتخاذ اولياء من دونه كاتخاذ بيت العنكبوت ولكن ظنوا ان اتخاذهم اولياء من دونه تفيدهم عزا وقوة فكان الامر بخلاف ما ظنوا فصل ومنها قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ذكر سبحانه الكافر في مثلين مثلا بالسراب ومثلا بالظلمات المتراكمة وذلك لان المعرض عن الهدى والحق نوعان احدهما من يظن انه على شيء فيبدو له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه وهذا حال اهل الجهل والبدع والاهواء الذين يظنون انهم على هدى وعلم فاذا انكشفت الحقائق تبين لهم انهم لم يكونوا على شيء فهذا حالهم الذي ترتبت عليها كما ترى كسراب بقيعة ترى في اعين الناظر ماء ولا حقيقة له وهكذا الاعمال التي لغير الله عز وجل وعلى غير امره بحسبها العامل نافعة وليست كذلك وهذه هي الاعمال التي قال الله عز وجل فيها وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال تعالى سبحانه السراب بالقيعة وهي الارض الخالية القفر من البناء والشجر والنبات والعلم فجعل السراب ارضا قفرا لا شيء بها والسراب لا حقيقة له وذلك مطابق للعالم وقلوبهم التي افقرت من الايمان والعلم وتامل ما تحت قوله يحسبه الظمآن ماء والظمآن الذي اشتد عطشه فرأى السراب فظنه ماء قصده فلم يجده شيئا بل حاسبه اجوع ما كان الى حسابه فكذلك اعمالهم على غير طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام طلبوا بها البر فجعلت كالسراب فوقفت الظمآن ما كانوا اليها فلم يجدوا شيئا ووجدوا سبحانه ثم فجازاهم باعمالهم ووفاهم حسابهم وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الرؤية يتجلى يوم القيمة ثم يولي يجمعهم فيعرض كانه السراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون قالوا نريد

الوكة
www.alukah.net

مصباح للصباح في زجاجة الى قوله ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء
بغير حساب فتضمنت الايات لاصناف الفرق الثلثة المنعم عليهم وهم اهل النور والضالين
وهم اصحاب السراب والمغضوب عليهم وهم اهل الظلمات المتراكمة والله اعلم فالمثل الاول
من المثلين لاصحاب العمل الباطل الذي لا ينفع والمثل الثاني لاصحاب العلوم والنظر والاعتقاد
الذي لا ينفع فاولئك اصحاب العمل الباطل وهؤلاء اصحاب العمل الذي لا ينفع والاعتقاد
ذات الباطلة وكلاهما مضاد للهدى ودين الحق وهذا حال الفريق الثاني في ظلمات البحر
للشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة في قلوبهم بتلاطم امواج البحر فيه وانها امواج متراكمة
مفرقة سحاب مظلم وهكذا امواج الشكوك والشبه في قلوبهم المظلمة التي قد تراكمت عليها
سحب الغي والهوى والباطل فليتدبر اللبيب احوال الفريقين وليطابق بينهما وبين المثلين يعرف
عظمة القرآن وجلالته وانه تنزيل من حكيم حميد والحمد لله سبحانه وتعالى الموجب لذلك انه
لم يجعل لهم نورا بل تركهم على الظلمة التي خلقوا فيها فلم يخرجهم منها الى النور فالله سبحانه ولي
الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى
ومن اخطاه ضل فلذلك اجف القلم على علم الله سبحانه خلق الخلق في ظلمة فمن اراد هدايته جعل
له نورا وجود يحيى به قلبه وروحه كما يحيى بدنه بالروح التي ينفخها فيه فحياة البدن
بالروح وحياة الروح والقلب بالنور ولهذا سمى الله الوحي روحا لتوقف الحياة الحقيقية
عليه كما قال تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال يلقي الروح من امره
على من يشاء من عباده وقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فجعل وحيه روحا ونورا فمن لم يحيه
بهذا الروح فهو ميت ومن لم يجعل له نورا منه فهو في الظلمات ما له من نور فصل ومنها قوله
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
فشبه اكثر الناس بالانعام طالجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانتفاع
به فاله وجعل الاكثرين اضل سبيلا من الانعام لان البهيمة تهتدي لما ينفعها فتشتهيه وتتبع
الطريق فلا تخبط عنها عينا ولا شمالا والاكثرون تسمع دعوة الرسل ويبلغهم الوحي فلا
يستجيبون له ولا يعتدونه ولا يفرقون بين ما يضرهم وبين ما ينفعهم والانعام تفرق بين ما

فاسرح

www.aiukah.net

سبحانه فقال اثر بعضكم فيتسا قطون في جهنم ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون فيقولون كنا
نعبد المسيح ابن الله فيقال كذبتم لم يكن له صاحبة ولا ولد فما تريدون فيقولون ان تسقينا
فيقال لهم اشربوا فيتساقطون وذكر الحديث وهذه حال كل صاحب باطل فانه يخون بما
طلبه اوجب ما كان اليه فاه الباطل الحق قتله وهو كاسمه باطل فاذا كان الاعتقاد غير
مطابق والاحق كان متعلقه باطلا وكذلك اذا كان غاية العمل باطلة كان العمل الذي عزيز
وجل وعلى غيره بطل العمل ببطلان غايته وتصور عامله ببطلانه وبحصول ضد ما كان
يؤمله فلم يذهب عليه عمله واعتقاده الا الى ضد ما كان يعتقده ويؤمله بل صار معذبا بقوات نفعه وبحصول
ضد النفع فلهذا قال تعالى وجد الله عنده ففاه حسابه والله سريع الحساب فهذا مثل الضال الذي
يحسب انه على هدى فصل النوع الثاني اصحاب مثل الظلمات المتراكمة وهم
الذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال فتراكمت عليهم ظلمة الطبع و
ظلمة النفوس وظلمة الجهل حيث لم يجعلوا لعلمهم ضياء ولجاهليتهم وظلمة اتباع الغي والهوى
فهم كحال من كان في بحر لجي لا ساحل له وقد غشيه موج من فوق ذلك الموج موج
ومن فوقه سحاب مظلم فهو في ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب وهذا نظير ما هو فيه
من الظلمات التي لم يخرجه الله سبحانه منها الى النور لاباء وهذه المثلاث بالسراب الذي يظنه
مادة الحياة وهو الماء والظلمات المضادة للنور نظير المثلين الذين ضربهما للمؤمنين
والمؤمنين وهما المثل المائي والمثل الناري وجعل حظ المؤمنين منهما الحياة والاشراق
وحظ المنافقين منهما الظلمة المضادة للنور والموت المضاد للحياة فكذلك الكفار في
هذين المثلين حظهم من الماء السراب الذي يغر الناظر فيه ولا حقيقة له وحظهم للظلمات
المتراكمة وهذا يجوز ان يكون المراد به حال كل طائفة من طوائف الكفار وانهم عدموا مادة
الحياة والاضاءة باعراضهم عن الوحي فيكون المثلان صفتين لموصوف واحد ويجوز ان
يكون المراد به تنويع احوال الكفار وان اصحاب المثل الاول هم الذين عملوا على غير علم ولا بصيرة
بل على جهل وضن ظن بالاسلاف فكانوا يحسبون انهم يحسنون صنعا واصحاب المثل الثاني
هم الذين استحبوا الضلالة على الهدى وآثروا الباطل على الحق وعموا عنه بعد ان ابصروه
وعرفوه بعد ان عرفوه فهذا حال المغضوب عليهم والاول حال الضالين وحال الطائفتين
مخالف لحال المنعم عليهم المذكورين في قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها

نضرها من النبات والطريق فتحتنه وما ينفعها فتوثره والله تعالى خلق الانعام فلوبا
تعقل بها والسنة تنطق بها واعطى ذلك كله ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من العقول
والقلوب والالسنة والاسماع والابصار فهم اضل من البهائم فان من لا يهتدي الى الرشد
والى الطريق مع الدليل له اضل واسوأ حالا ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه فصل
ومنها قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء
فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون
وهذا ايضا قياس احتج الله سبحانه به على المشركين حيث جعلوا لله من عبيده وملكه
شركاء فاقام عليهم حجة يعرفونه صحتها من نفوسهم ولا يكتابوجه فيها الى غيرهم ومن ابلغ
الحجاج ان ياخذ الانسان حجته من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندهم معلوم لها
فقال هل لكم مما ملكت ايمانكم من عبيدكم وما تكم شركاء في المال والاهل اي هل يشارككم
عبيدكم في اموالكم واهليكم فانتم وهم في ذلك سواء تخافونهم ان يقاسموكم اموالكم
ويشاطروكم اياها ويستأثروا بعضها عليكم كما يخاف الشريك شريكه وقال ابن عباس
تخافونه ان يرثكم كما يرث بعضكم بعضا والمعنى هل يرضى احدكم ان يكون عبده شريكه
في ماله واهله حتى يساويه في التصرف في ذلك فهو يخاف ان ينفرد في ماله بما يتصرف فيه
كما يخاف غيره من الشركاء والاحرار فلا ترضوا لله ما لا ترضون لانفسكم فكيف علتم لي من خلقي
من هو مملوك لي فان كان هذا الحكم باطلا في فطركم وعقولكم مع انه جائز عليكم مملوك لي في
حقكم اوليس عندكم ملكا لكم حقيقة وانما هم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم وانتم ترضون عما
رضي تستخبروه مثل هذا الحكم في حقي مع ان من جعلتموهم لي شركاء عبيدي ومملوكي
وخلقي فهكذا يكون تفصيل الآيات لاولي العقول فصل ومنها قوله تعالى
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا
فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون
ضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه
اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو ومن يامر بالعدل
وهو على صراط مستقيم هذه امثلة متضمنة قياسا من قياس
العكس وهو نفي الحكم لنفي علته وموجبه فان القياس نوعان قياس طرد يقتضي اثبات

٥٤٢.٩٠٠

الحكم في الفرع

الحكم في الفرع لثبوت علة الاصل فيه وقياس عكس يقتضي نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم
فيه فالمثل الاول ما ضرب الله سبحانه لنفسه وللاوثان فالله سبحانه هو المالك لكل شيء
ينفق كيف يشاء على عبيده سرا وجهرا ليلا ونهارا عينه ملائى لا تغيضها نفقة سحاء
الليل والنهار والاوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء فكيف تجعلونها شركاء لي وتعبدونها
وتنهاكم دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين هذا قول مجاهد وغيره وقال ابن
عباس هو مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فمثل المؤمن في الخير الذي عنده ثم رزقه
قد منه رزقا حسنا فهو ينفق منه على نفسه وعلى غيره سرا وجهرا والكافر بمنزلة
عبد مملوك لا يقدر على شيء لانه لا خير عنده فهل يستوي هذا والحمد لله عند العقلاء
والقول الاول اشهر بالمراد فانه اظهر في بطلان الشرك واوضح عند المخاطب واعظم
في اقامة الحجة وانوب نسبا بقوله ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات و
الارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ثم قال
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر ومن لوازم هذا المثل واحكامه ان يكون المؤمن
الموحد الذي رزقه منا رزقا حسنا والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر على
شيء هذا ما نبه عليه المثل وارشد اليه فذكره ابن عباس منتهى على ارادته لان الآية
اختصت به فتامله فانك تجده كثيرا في كلام ابن عباس وغيره من السلف في فهم القرآن
فيظن الظان ان ذلك هو معنى الآية التي لا معنى لها غيره فيحكيه قوله فصل واما
المثل الثاني فهو مثل ضربه الله سبحانه لنفسه وما يعبد من دونه ايضا فالصنم الذي
يعبد من دونه بمنزلة رجل ابكم لا يعقل ولا ينطق بل هو اكمه القلب واللسان فقد عدم
النطق القلبي واللساني ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة ومع هذا فانما
ارسلت اليه بخير ولا يقضي لك حاجة والله سبحانه حي قادر متكلم يامر بالعدل
وهو على صراط مستقيم وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد فان امره بالعدل وهو الذي
يتضمن انه سبحانه عالم به معلله راض به آمر لعباده به محب لاهله لانه امر رسوله بل بنزه
عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل بل امره وشرعه عدل كله واهله
العدل هم اولياؤه واحباؤه وهم المجاورون عن يمينه على منابر من نور لقربهم
العدل يتناول الامر الشرعي الديني والامر القدري الكوني وكلاهما عدل لا جور فيه

بوجه ما كما في الحديث الصحيح اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في
حكمك عدل في قضاؤك فقضاؤه هو امره الكوني فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون فلا يأمر الا بحق وعدل وقضاؤه وقدره القائم بر حق وعدل وان كان في
المقضي المقدر ما هو جور وظلم فانه القضاء المقضي والقدر غير المقدر ثم اخبر سبحانه
انه على صراط مستقيم وهذا تطبيق قول رسوله شعيب عليه الصلاة والسلام اني توكلت
على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها انه ربي على صراط مستقيم فقوله
ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها تطبيق قوله ناصيتي بيدك وقوله ان ربي على صراط مستقيم
تطبيق قوله عدل في قضاؤك فالاول ملكه والثاني حمده وهو سبحانه له الملك وله الحمد
وكونه سبحانه على صراط مستقيم يقتضي انه لا يفعل الا الحق ولا يأمر الا بالعدل ولا يفعل
الا ما هو مصلحة وحكمة عدل فهو على الحق في اقواله وافعاله فلا يقضي على احد بما
يكون ظالما له به ولا يأخذه بذنب لم يفعله من حسنات شيئا ولا يحمل عليه من سيئات
غيره التي لم يعملها ولم ينسب اليها شيئا ولا يؤاخذ احدا بذنب غيره ولا يفعل قط الا ما يحمد
عليه ويثنى به عليه ويكون العواقب الحميدة والغايات المطلوبة فانه كونه على صراط
مستقيم يأبى ذلك كله قال محمد بن جرير الطبري وقوله ان ربي على صراط مستقيم يقول ان
ربي على طريق الحق يجازي المحسن من خلقه بإحسانه والمسيء بإساءته لا يظلم احدا منهم
شيئا ولا يقبل منهم الا الاسلام والايمان ثم حكى عن مجاهد من طريق شبل عن ابن ابي
نجيح عنه ان ربي على صراط مستقيم قال للحق وكذا رواه ابن ابي جريح عنه وقال قتادة
قد هي مثل قوله ان ربك لبالمرصاد وهذا اختلاف عبارة فان كونه بالمرصاد هو مجازاة
المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وقالت فرقة في الكلام حذف تقديره ان ربي يحكم على
صراط مستقيم ويحفظ عليه وهؤلاء ان اراد ان هذا معنى الآية التي يدل بها فليس
كما زعموا ولا دليل على هذا التقدير وقد قرن سبحانه بين كونه آمرا بالعدل وبين كونه
على صراط مستقيم وان اراد ما حثه على الصراط المستقيم من جملة كونه على صراط
فقد صدق وقالت فرقة اخرى معنى كونه على صراط مستقيم ان مرد العباد والامور كلها
اليه لا يفوته شيء منها وهؤلاء ان اراد ان هذا معنى الآية فليس كذلك وان اراد
ان هذا من لوازم كونه على صراط مستقيم ومن مقتضاه وموجبه فهو حق وقالت فرقة

اخرى

اخرى معناه كل شيء تحت قدرته وقهره وفي ملكه وقبضته وهذا وان كان حقا فليس هو معنى
الآية وقد فرق شعيب عليه الصلاة والسلام بين قوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها
وبين قوله ان ربي على صراط مستقيم فهما معنيان مستقلان فالقول الراجح هو
هو قول ائمة التفسير ولا تحتمل العربية غيره الا على استكراه قال الجوهري عدي عمر ابا
عبد العزيز امير المؤمنين على صراط اذا عوج المورد مستقيم وقد قال تعالى
من يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم واذا كان الله سبحانه هو الذي
جعل رسله عليهم الصلاة والسلام واتباعهم على الصراط المستقيم في اقوالهم وافعالهم
فهو سبحانه احق ان يكون على صراط مستقيم في قوله وفعله وان كان صراط الرسل واتباعهم
هو موافقة امره فصراطه الذي هو سبحانه عليه هو ما يقتضيه حمده وكماله ومجده من
قول الحق وفعله وبالله التوفيق فصل وفي الآية قول ثالث مثل الآية الاولى سواء
انه مثل ضربه الله للمؤمنين والكافرين وقد تقدم ما في معنى هذا القول والله الموفق
فصل ومنها قوله تعالى في تشبيه من لم ينتفع بما سمع من كلام الله وتدبره فاعرض عن التذكرة
معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم في اعراضهم ونفورهم عن القرآن
بحمر وحش الاسد والرماة ففرت منه وهذا من بديع التمثيل فان القوم في جهلهم بما بعث
الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم كالحمر فهي لا تعقل شيئا فاذا سمعت صوت الاسد الرامي
نفرت منه اشد النفور وهذا غاية الذم لهؤلاء فانهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم
وحياتهم كنفور الحمر عما يهلكها ويعقرها وتحت المستنفرة معنى ابلغ من النافرة
فانها الشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضا وحض على النفور فاه في الاستفعال
من الطلب قد زاد على الفعل المجرد فكأنها تواصت بالنفور وتواطأت عليه ومن قرأها
بفتح الفاء فالمعنى ان القسورة استنفرها وحملها على النفور بما سمعته فصل
ومنها قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس
مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين فشبه سبحانه من حمله
كتابه ليؤمن بما فيه ويتدبره ويعمل به ويدعو اليه ثم خالف ذلك كله ولم يحمله الا على ظهر قلب فقراءه بغير
تدبر ولا تفهم ولا اتباع له وتحكيم له وعمل بموجبه كالحمار على ظهره زاملة اسفار لا
يدري ما فيها وحظه منها حملها على ظهره ليس الا فخلع ربقة كتاب الله كخلع هذا الحمار

من الكتب التي على ظهرها هذا المثل وله كاه تضرب الميهود فهو متناول من حيث الجنى لمن
القراءة فترك العمل به ولم يؤد حقه ولم يرع حق رعايته فصل وقفينا قوله تعالى
واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث
او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون
فنشير بحمد الله من اتاه الكتاب وعلم العلم الذي منعه غيره وترك العمل به واتبع هواه وآثر سخط الله
على رضاه ودنياه على آخرته والمخلوق على الخالق يا كلب الله هو من اخبث الحيوانات
واوضعها قدرا ولخشها نفسا وهمة لا تتعدى بطنه واشدها سرا وحرصا ومن حرصه
انه لا يعيش الا وخطمه في الارض يتشمم ويتروح حرصا وشرها ولا يزال يشم دبره دوره
سائر اجزائه واذا رميت له بحجر رجع اليه بعضه من فرط نهمته وهو من امهن الحيوانات واقلها
حملا للهوان وارضاها بالذلة والحرص اقذره واكدره واحبه الى اللحم الطري والعذرة
احب اليه من الحلوى واذا اظفر بعيشة يلقى بها كلبا يتناول معه منه شيئا الا
عز عليه وقهره لحرصه ونخله وشرهه ومن عجيب امره وحرصه انه اذا رأى ذا هيئة رثة وثيابا
دنسة وحال رديئة نبحه وحمل عليه كانه يتصور مشاركته له ومنافسته في قوته واذا رأى
ذا هيئة حسنة وثياب جميلة ورياسة وضع له خطمه بالارض وخضع له ولم يرفع اليه رأسه
وفي تشبيه من اثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الاخرة مع وفور علمه بالكلب في حال اللهف
سر بديع وهواه هذا الذي حاله ما ذكره اسر من انسلاخه من آياته واتباعه هواه انما كان
لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع حيلته عن استعادة الدار الاخرة فهو شديد اللهف عليها ولهفه
نظير لهف الكلب الدائم في حالة واحدة وتركه واللهف واللهث شقيقان واخوان في
اللفظ والمعنى قال ابن جريج الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له اذا حمل عليه يلهث او تتركه
يلهث فهو مثل الذي يترك الحصة لانقطاع فؤاده منقطع قلت مراده بانقطاع
فؤاده انه ليس له فؤاد يحمله على الصبر ويترك اللهث وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبق
معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا وترك اللهف عليها فهذا يلهف على الدنيا من قلة صبره
عليها وهذا يلهث من قلة صبره عن الماء فالكلب من اقل الحيوانات صبرا عن الماء واذا عطش
اكل الثرى من العطش وانه كان صبورا على الجوع وعلى كل حال فهو من اشد الحيوانات لهثا

يلهث

يلهث قياما وقاعدا وماشيا وواقفا ذلك لشدة حرصه فحرارة الحرص في كبده توجب له
دوام اللهث فمثل من شبهه شدة حرارة الشهوة في قلبه توجب له دوام اللهث فاذا عملت
[illegible] النصيحة فهو يلهث وان تركته ولم تعظه فهو يلهث قال مجاهد ذلك
[illegible] الكتاب ولم يعمل به وقال ابن عباس ان تحمل عليه الكلام يحملها واذا تركته
[illegible] الكلب كان واضعا لهثه واذا طردته لهث وقال الحسن هو الذي اذا وعظته
على الحق ترك الحق وان وعظته او لم تعظه كالكلب يلهث طرد او ترك وقال عطاء يتبع
اذا حملت عليه او لم تحمل عليه وقال مجاهد يقتضيه كل شيء يلهث انما يلهث من لغبه اذا
عطش الا الكلب فانه يلهث في حال الضلال وحال الراحة وحال الصحة وحال المرض
والعطش فظهر بهذا ان مثله المذكور في الآية وقال ابن عطية فهو ضال واذا تركته فهو ضال
كالكلب ان طردته لهث واذا تركته على حاله لهث ونظيره قوله تعالى واذا تدعوهم الى
الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وتأمل ما في هذا المثل من
الحكم واللطائف فمنها قوله آتيناه آياتنا فاخبر سبحانه انه هو الذي آتاه آياته فانها نافعة
واسر هو الذي انعم بها عليه فاضافها الى نفسه ثم قال فانسلخ منها اي خرج منها كما
تنسلخ الحية من جلدها وفارقها فراق الجلد يسلخ عن اللحم ولا يقال فسلخناه منها
لانه هو الذي تسبب الى انسلاخه منها باتباع هواه ومنها قوله سبحانه فاتبعه الشيطان اي
لحقه وادركه كما قال تعالى فاتبعوهم مشرقين فكان محفوفا محروسا بآيات
اسر فمحى اليها بما من الشيطان لانها لم تنه شيئا الا على غرر وحفظ فلما انسلخ من آيا
اسر ظفر به الشيطان ظفر الاسد بفريسته فكان من الغاوين العالمين بخلاف علم
الذين لا يعرفون الحق ولا يعملون بخلافه كعلماء السوء ومنها ان سبحانه قال ولو شئنا
لرفعناه بها فاخبر سبحانه ان الرفعة عنده ليست بمجرد العلم وانما هي باتباع الحق والعمل
وقصد مرضاة الله تعالى وان هذا كان من علم اهل زمانه ولم ينفعه الله بعلمه ولم يكن عبرة لمن
بعده من علم لا ينفع واخبر سبحانه انه هو الذي يرفع عبده اذا شاء بما اراه من العلم وان لم يرفعه
اسر فهو موضوع لا يرفع احدا ابدا فاسم الخافض الرافع الله سبحانه حفظ ولم يرفعه
ولو شئنا فضلناه وشرفناه ورفعنا قدره ومنزلته بالآيات التي آتيناه قال ابن عباس
ولو شئنا لرفعناه بعلمها وقالت طائفة الظمير في قوله لرفعناه عائد على اللفظ

بعد في الام
غر وحطه

الملزوم لها موقوعا على مشيئة الله وهو الحق بطل اصله وقولهم ان مشيئة الله تابعة للزومه
الايات من افسد الكلام وابطله بل للزوم الايات تابعة لمشيئة الله عز وجل فمشيئة الله
سبحانه متبوعة لا تابعة وسبب لا مسبب وموجب مقتضى مقتضى كما شاء الله
وجب وجوده وما لم يشأ امتنع وجوده **فصل ومنها قوله تعالى**
يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا
ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا
الله ان الله توّاب رحيم وهذا من احسن القياس التمثيلي فان شبه تمزيق
عرض الاخ بتمزيق لحمه ولما كان المغتاب يمزق عرض اخيه في غيبته كان بمنزلة من
يقطع لحمه في حال غيبته وصرعه بالموت ولما كان المغتاب عاجزا عن دفع نفسه
بكونه غائبا عن ذمه كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع ان يدفع عن نفسه
ولما كان مقتضى الاخوة التلاحم والتواصل والتناصر حرم عليه المغتاب ضد
مقتضاها من الذم والعيب والطعن كان ذلك نظير تقطيع لحم اخيه والاخوة تحفظه وصيانته والذب عنه ولما كان المغتاب متفكها بغيبته وذمه متحللا بذلك
شبه بآكل لحم اخيه بعد تقطيعه ولما كان المغتاب مجانا لذلك معجبا بشبه عن يحب اكل
لحم اخيه ميتا ومحبته لذلك قد زاد على مجرد اكله كما ان اكله قد زاد به على تمزيقه فتأمل
هذا التشبيه والتمثيل وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه المحسوس وتأمل اخباره
عنهم بكراهة اكل لحم الاخ ميتا ووصفهم بذلك في اخر الاية والانكار عليهم في اولها
ان يحب احدهم ذلك فكما ان هذا مكروه في طباعهم فكيف يحبونه وهو مثله ونظيره
فاحتج عليهم بما كرهوه على ما احبوه وبشرهم بما يحبونه بما هو اكره شيء اليهم وهم
اشد شيء نفرة عنه فلهذا اوجب الفعل والفطرة والعقل ان يكون اشد شيء نفرة
عما هو نظيره ومشبهه وبالله التوفيق **فصل ومنها قوله تعالى**
مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا
يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد فشبه تعالى
اعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم
عاصف فشبه سبحانه اعمالهم في حبوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثور لكونها

مثل

شيئا لرفعناه كقوله لئن مسه نفحة من اماننا قال مجاهد وعطاء لرفعنا عنه الكفر بالايمان وعصمناه
هذا هو الحق والاول هو مراد الآية وهذا من لوازم المراد وقد تقدم ان السلف كثيرا ما يعبرون
على لازم معنى الآية فيظن الظان ان ذلك هو المراد منها وقوله ولكنه اخلد الى الارض هو كما سبق
خبر ركن الى الارض وقال مجاهد سكن وقال مقاتل رضي بالدنيا وقال ابو عبيدة لزمها واحتج
بقلة الخليد الرجال هو الذي تبطئ مشيته ومنه الدواب الذي يبقى ثناياه الى الاخر حتى
رباعيته وقال الزجاج خلد لخلد لخلد لصلة من الخلود وهو الدوام والبقاء يقال فلان لا يخلد
فلانا بالمكاء اذا قام به قال مالك بن نويرة يا بيا تأتي من قبائل مالك ... ومن عمرو بن يربوع اتاموا
والخلد داء قتلت ومنه قوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون اي قد خلقوا للبقاء لذلك لا
تتغير وجوههم ولا تتغير وهم على سن واحد ابدا وقيل للقرطين في اذانهم والمسورة في يديها
واصحاب هذا القول شرطوا اللفظ ببعض لوازمها وذلك اشارة الى التحليل على ذلك السن
فلا ينافي القولين وقوله واتبع هواه قال الكلبي اتبع مسافل الامور وترك معاليها
وقال ابو دوزق اختار الدنيا على الاخرة وقال عطا اراد الدنيا واطاع شيطانه وقال
ابو زيد كان هواه مع القوم يعني الذين حاربوا موسى عليه الصلاة والسلام وقومه
وقال ثمامة اتبع امرأته لانها هي التي حملته على ما فعله فان قيل ما استدراك ذلك بقوله
لو شئت بعدها نفي ما قبلها او بنفي ما شئت كما تقول لو شئت لاعطيتك لكني لم اعطك ولو
شئت لما فعلت لذلك شيء فعلته فالاستدراك يقتضي ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم
نشأ او لم نرفع ولكنه اخلد فكيف استدرك بقوله لكنه اخلد الى الارض بعد قوله ولو شئنا
لرفعناه بها قيل هذا من الكلام المحوظ فيه المعنى المعدول فيه عن مراعاة الالفاظ الى المعنى
وذلك ان مضمون قوله ولو شئنا لرفعناه بها انا لم نعطه لاسباب التي تقتضي رفعته بها
لآيات من آثار اياه ورضاته على هواه ولكنه آثر الدنيا واخلد الى الارض واتبع هواه وقال
الزمخشري المعنى ولو لزم ايانا لرفعناه بها فذكر المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة
عنه قال الآمدي قوله ولكنه اخلد فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب
ان تكون لو شئنا فيه بمعنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا
لرفعناه ولكنا لم نشأ فهذه جملة يتبين بها تعرفها من قدره ان المشيئة العامة بعد
التجرد في جعل كلام الله معتزليا قدريا فاي قوله ولو شئنا من قوله ولو لزمها لما كان

على غير اساس من الايمان والاحسان وكونها لغير الله عز وجل وعلى غير نهجه بوهاد
طيرة الريح العاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته اليه فكذلك
لا يقدرون مما كسبوا على شيء لا هدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء فلا
يرون لها اثرا من ثواب ولا فائدة نافعة فانه اسر لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا
لوجهه موافقا للشرع والاعمال اربعة فواحد مقبول وثلاثة مردودة فالمقبول
الخالص الصواب فالخالصة ان يكون لله لا لغيره والصواب ان يكون على ما شرع
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم والثلاثة المردودة ما خالف ذلك وفي تشبيهها
بالرماد سر بديع وذلك للتشابه الذي بين اعمالهم وبين الرماد في حولة الذي واذا
هبت به الاصل هذا وهذا فكانت الاعمال التي لغير الله عز وجل وعلى غير سنة رسوله
للنار ربها تسعر النار على اصحابها وينشئ الله سبحانه لهم من اعمالهم الباطلة نارا
وعذابا كما ينشئ لاهل الاعمال الموافقة الدرة التي هي خالصة لوجهه من اعمالهم نعيما
ورواحا فاثرت النار في اعمال اولئك حتى جعلتها رمادا فهم واعمالهم وما يعبدون
من دون الله وقود النار فصل ومنها قوله تعالى الم تر كيف ضرب
الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي
اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون
فشبه سبحانه كلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لانه كلمة الطيبة تثمر العمل الصالح وا
الشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون الكلمة
الطيبة هي شهادة ان لا اله الا الله فانها تثمر جميع الاعمال الصالحة الظاهرة والبا
طنة فكل عمل صالح مرضي لله عز وجل ثمرة هذه الكلمة وفي تفسير علي ابن ابي طلحة
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كلمة طيبة شهادة ان لا اله الا الله وكشجرة طيبة
وهو المؤمن اصلها ثابت قول لا اله الا الله في قلب المؤمن وفرعها في السماء تقول تتفرع
بها على المؤمن الى السماء وقال الربيع ابن انس كلمة طيبة هذا مثل الايمان والايمان
الشجرة الطيبة واصلها الثابت الذي لا يزول الاخلاص فيه وفرعه في السماء خشية
الله والتشبيه على هذا القول اصح واظهر والحسن فانه سبحانه شبه شجرة التوحيد
في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الاصل الباسقة الفرع في السماء علوا التي لا

تزال

تزال تؤتي ثمرتها كل حين واذا تاملت هذا التشبيه رايته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة
الراسخة في القلب التي فروعها من الاعمال الصالحة صاعدة الى السماء ولتزال هذه
الشجرة تثمر الاعمال الصالحة كل وقت بحسب ثباتها في القلب ومحبة القلب لها
واخلاصه فيها ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقها ومراعاته لحدود رعايتها فمن
سنخ هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتها والتصق قلبه بها وانصبغ
بها بصبغة الله التي لا احسن صبغة منها تعرف حقيقة الهية التي بشبهها قلبه
سويشهد بها لسانه وتصدقها جوارحه وتفنى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما
سوى الله عز وجل وقام قلبه ولسانه في هذا النفي والاثبات والفناء جوارحه
ممن شهد له بالوحدانية طائعة سالكة سبل ربها ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية
سواها بدلا كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلا فلا ريب ان هذه الكلمة من هذا
القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد اليه كل وقت
فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل الصالح الى الرب تعالى وهذه الكلمة الطيبة
تثمر لكل قائلها كل وقت عملا صالحا فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب كما قال تعالى اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فاخبر سبحانه ان العمل الصالح يرفع الكلم
الطيب وصحة الكلمة الطيبة تثمر لقائلها كل وقت عملا صالحا كل وقت على
المقصود وان كلمة التوحيد اذا شهد المؤمن بها عارفا بمعناها وحقيقتها نفيا
واثباتا متصفا بموجبها قائما بحقها قلبه ولسانه وجوارحه بشهادته فهذه الكلمة من
هذا الشاهد اصلها ثابت راسخ في قلبه وفروعها متصلة بالسماء هي مخرجة لثمرتها
كل وقت باذن ربها ومن السلف من قال ان الشجرة الطيبة هي النخلة ويدل عليه حديث ابن عمر الصحيح
ومنهم من قال هي المؤمن نفسه كما قال محمد ابن سعد حدثني ابي حدثني عمي حدثني ابي
عن ابيه عن ابن عباس قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة يعني
بالشجرة الطيبة المؤمن وبعضها الاصل الثابت في الارض والفرع في السماء تكون الاتي
يعمل في الارض وتكلم فيبلغ قوله عمله السماء وهو في الارض وقال عطية العوفي
في ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة قال ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرج منه كلام
طيب وعمل صالح يصعد الى السماء قال الربيع ابن انس اصلها ثابت وفرعها في السماء قال

www.alukah.net

وكذلك المؤمن ضرب مثله في الاخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له اصلها ثابت
قال اصل ثابت في الارض وفرعها في السماء كما ذكره في السماء ولا اختلاف بين
القولين فالمقصود بالمثل المؤمن والنخلة مشتبهة به وهو مشبه بها وذا كانت
النخلة شجرة طيبة فالمؤمن للشبه بها اولى ان يكون كذلك ومن قال من السلف
لها شجرة في الجنة فالنخلة من اشرف اشجار الجنة وفي هذا المثل من الاسرار والعلوم
والمعارف ما يليق ويقتضيه علم الذي تكلم به سبحانه وحكمته فمن ذلك ان الشجرة لا بد
من عروق وورق وثمر فكذلك شجرة الايمان والاسلام ليتطابق المشبه والمشبه به فمن
وقها العلم والمعرفة واليقين وساقها الاخلاص وفروعها الاعمال وثمرتها ما توجبه الاعمال
عمال الصالحة من الاثار الحميدة والصفات الممدوحة والاخلاق الزكية والسمت الصالح
والهدي الرضي فيستدل على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها وصحة هذه الامور فاذا
كان العلم صحيحا مطابقا للمعلوم الذي انزل الله به كتبه وارسل به رسله والاعتقاد مطابقا لما اخبر به
عن نفسه واخبر به عنه رسله صلوات الله وسلامه عليهم والاخلاص قائما في
القلب والاعمال موافقة لامر الله ورسوله دالة السمت مشابهة لهذه الاصول منا سبة لها
علم ان شجرة الايمان في القلب اصلها ثابت وفرعها في السماء واذا كان الغرس كذلك علم ان الثابت
بالقلب انما هو الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وصح بها ان
الشجرة لا تبقى حية الا بمادة تسقيها وتنميها فاذا انقطع عنها السقي او شك ان تيبس فكذلك
شجرة الاسلام في القلب ان يتعاهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل
الصالح والعود بالتذكر على التفكر والتفكر على التذكر والا اوشك ان تيبس وفي
مسند الامام احمد من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الايمان يخلق في القلب كما يخلق الثوب فجددوا ايمانكم وبالجملة فالغرس ان يتعاهد
هذه صاحبه او شك ان يهلك وهن هنا يعلم شدة الحاجة العبد الى ما امر الله
به من العبادات على تعاقب الاوقات وعظيم حمته وتمام نعمته واحسانه الى عباده
بان وضعها عليهم وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم ومنها
ان الغرس والزرع النافع تدلجوه الله سبحانه العادة لابد له من الطم دغل ونبت غريب
ليس من جنسه فان تعاهده ربه ونقاه وقلعه كمل الغرس والزرع واستوى وتم نباته

وكان بنباته

وكان ادق اثمرته واطيب وازكى وان كثر او شك ان يغلب على الغرس والزرع ويكون الكل
لم يضعف الاصل وتجعل الثمرة ذميمة ناقصة بحسب كثرته وقلته ومن لم يكن له فقه
نفس في هذا ومعرفة فانه كثيرا وهو لا يشعر فالمؤمن دائم سعيه في شيئين سقي
هذه الشجرة وتنقية ما حولها فيسقيها بتقى وتدوم وبتنقية ما حولها تكمل وتتم
والله المستعان وعليه التكلان فهذا بعض ما تضمنه هذا المثل العظيم الجليل من الا
سرار والحكم ولعلها قطرة من بحر بحسب اذهاننا الواقفة وقلوبنا الخطئة وعلومنا
القاصرة واعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار والا فلو طهرت منا القلوب و
صفت الاذهان وزكت النفوس وخلصت الاعمال وتجردت لعلم المتكلم عز اسمه
تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لشاهدنا من معاني كلام الله عز وجل والاسرار وحكم
ما تضمنه علوما تضمحل عنده العلوم وتتلاشى عنده معارف الخلق ولهذا يعرف قدر علوم الصحابة
ومعارفهم رضي الله عنهم وما بينهم من التفاوت الذي بين علومهم وعلوم من بعدهم كما
التفاوت الذي بينهم في الفضل والله اعلم حيث يجعل مواقع فضله ومن يخص برحمته

فصل ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة وشبهها بالشجرة الخبيثة التي
اجتثت من فوق الارض فلا عرق ثابت ولا فرع عال ولا ثمرة زاكية ولا ظل ولا جناء
ساق قايم ولا عرق في الارض ثابت فلا اسفلها محفوظ ولا اعلاها موثوق ولا جناها
لها ولا تعلو بل تعلى ولذا تامل اللبيب اكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكتبهم وجده
كذلك فالخسران كل الخسران لمن الوقوف معه والاشتغال به عن افضل الكلام وانفعه قال
الضحاك ضرب الله مثل الكافر بشجرة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار فليس لها
اصل ولا فرع ولا ثمر ولا فيها منفعة كذلك الكافر ليس يعمل خيرا ولا يصعد ولا يجعل الله فيه
بركة ولا منفعة وقال ابن عباس ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك كشجرة خبيثة يعني الكافر
اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ويقول الشرك ليس له اصل يا خذ به الكافر
ولا برهان ولا يقبل الله مع الشرك عملا فلا يقبل الله عمل المشرك ولا يصعد الى الله
فليس له اصل ثابت في الارض ولا فرع في السماء يقول ليس له عمل صالح في السماء
ولا في الاخرة وقال الربيع ابن انس مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ليس لقوله ولا
لعمله اصل ولا فرع ولا يستقر قوله ولا عمله على الارض ولا يصعد الى السماء وقال

الألوكة
www.alukah.net

سعيد عن قتادة في هذه الاية ان رجلا لقي رجلا من اهل العلم فقال له ما تقول في الكلمة
الخبيثة قال لا علم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان يلزم عنق صاحبها
حتى يوافي بها القيمة وقوله اجتثت اي استوصلت من فوق الارض ثم اخبر سبحانه عن
فضله وعدله في الفريقين اصحاب الكلم الطيب والكلم الخبيث فاخبر انه ثبت الذين
آمنوا بايمانهم بالقول الثابت احوج ما يكونون اليه في الدنيا والاخرة وانه يضل الظالمين
ليحرمهم التشبث عن القول الثابت فاضل هؤلاء لما جعل ظلمهم وثبت المؤمنين
بفضل ايمانهم وتحت قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الاخرة كنز عظيم من وقف عليه لحظته واحسن استخراجه واقتناءه وانفق منه
فقد غنم ومن حرمها فقد حرم وذلك ان العبد لا يستغني عن تثبيت الله طرفة عين
فانه لم يثبته والا زال سماء ثباته وارضه عن مكانهما وقد قال تعالى ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وقال تعالى ان الله يمسك
عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال
تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا وفي الصحيحين من حديث
البجلي قال وهو يسألهم ويثبتهم وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وكلا نقص
عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك فالخلق كلهم محتاجون موفق بالتثبيت
وعند بترك التثبيت وما به التثبيت وحصوله ومنشاه من القول الثابت وفعل
ما امر به العبد فبما يثبت الله عبده فكل من كان اثبت قولا واحسن فعلا كان اعظم
تثبيتا قال تعالى ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا فما
ثبت الناس قلبا ولا قولا ولا عملا بمثل القول الثابت هو القول الحق والصدق وهو ضد
القول الباطل الكذب فالقول دعواه ثابت له حقيقة وباطل لا حقيقة له فاذا
ثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها فهي اعظم ما يثبت الله به عباده في الدنيا
والاخرة ولهذا ترى الصادق من اثبت الناس واشجعهم قلبا والكاذب من اضعف
الناس واخبثهم وانكثرهم ثلوبا واقلهم ثباتا واهل الفراسة يعرفون صدق الصادق
ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك ولا يخفى ذلك الا على ضعيف البصيرة و
سئل بعضهم عن كلام سمعه من متكلم به فقال لباسه ما فهمت منه شيئا الا اني سمعت
لكلامه صولة ليست بصولة مبطل فما منح العبد منحة افضل من منحة القول الثابت

وتحصل القول الثابت تثبت اصحابه ما يكونون اليه في قبورهم ويوم معادهم كما في صحيح
مسلم من حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه هذه الاية نزلت في عذاب
القبر وتضافرت فيها احاديث صحاح فمنها ما في المسند من حديث داود بن ابي هند
عن ابي نضرة عن ابي سعيد قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال يا
ايها الناس ان هذه الامة تبتلى في قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق عنه اصحابه
جاءه ملك بيده مطراق فاقعده فقال ما تقول في هذا الرجل فان كان مؤمنا قال
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول
له صدقت فيفتح له باب الى النار فيقال له هذا منزلك لو كفرت بربك فاما اذ
آمنت فان الله ابدلك به هذا ثم يفتح له باب الى الجنة فيرى ان ينهض له فيقال
اسكن ثم يضيء له في قبره واما الكافر والمنافق فيقال له ما تقول في هذا
الرجل فيقول لا ادري فيقال لا دريت ولا هديت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال
له هذا منزلك لو آمنت بربك فاما اذ كفرت فان الله ابدلك به هذا ثم يفتح له باب
الى النار ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين قال بعض
اصحابه يا رسول الله سامنا من احد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق الا هيل عند
ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وفي المسند من حديث ابي
ابي عازب ورواه النهال عن عمرو عن زاذان عن البراء قال قال رسول الله صلى الله
وذكر فيه عذاب القبر وفي المؤمن فقال يأتيه آت يعني في قبره فيقول من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينهره
فيقول سارك وما دينك وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك حين يقول الله
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة فيقول ربي
الله وديني الاسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال له صدقت وهذا حديث
صحيح وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسو
الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا و
في الاخرة قال اذا قبل له في القبر من ربك وما دينك فيقول ربي الله وديني الا

سلام
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي عهد جاء بالبينات من عند الله فامنت وصدقت فيقال له صدقت على هذا عشت وعليه
مت وعليه تبعث وقال الاعمش عن المنهال ابن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قبض روح المؤمن قال فترجع روحه في جسده ويأتيه ملكان
فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول
الاسلام فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول له محمد رسول الله فيقولان
له وما يدريك قال اقرأت كتاب الله فامنت به وصدقت وذلك قول الله تبارك و
تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة رواه ابن حبان في صحيحه
والامام احمد في صحيحه نحوه من حديث ابي هريرة مرفوعا قال ان الميت ليسمع خفق نعالهم
اذا ولوا عنه مدبرين فاذا كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه وكان
الصيام عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان الى الناس من
عند رجليه فيؤتى من عند رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة
ما قبلي مدخل فيؤتى عن يساره فيقول الصيام ما قبلي مدخل فيؤتى من عند رجليه
فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان الى الناس ما قبلي
مدخل فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت الشمس قد دنت للغروب فيقال له اخبرنا
عما نسألك عنه فيقول دعوني حتى اصلي فيقال انك ستفعل فاخبرنا عما نسألك
فيقول وعم تسألوني فيقال له ارأيت هذا الرجل الذي بعث فيكم ما ذا تقول فيه وما
تشهد به عليه فيقول ايّ محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيقول اشهد انه رسول الله
وانه جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت
وعلى ذلك تبعث انشاء الله ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له فيه ثم يفتح له بابا
الى الجنة فيقال انظر الى ما اعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ثم يجعل نسمته في
النسم الطيبة وهي طير خضر تعلق بشجر الجنة فيعاد الجسد الى ما بدئ منه من التراب وذلك
قول الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولا تستطل
هذا الفصل المعترض في المفتي والشاهد الحاكم بل وكل مسلم لشدة ضرورة البر من
الطعام والشراب والنفس وباب التوفيق **فصل** **ومنها** قوله تعالى
فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به

ومن يشرك

ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق
فتامل هذا المثل ومطابقته لحال من اشرك بالله وتعالق بغيره وتخونك في هذا التشبيه
امران احدهما ان تجعله تشبيها مركبا وهو كونه قد شبه من اشرك بالله وبعد معه عنه بحال
قد تسبب الى الهلاك بفسر هلاكا لا يرجى معه نجاة فصور حاله بصورة من خر
من السماء فاختطفته الطير في الهوى فتفرق منه اعضاء في حواصلها او عصفت به الريح حتى
هوت به في بعض المطارح البعيدة وعلى هذا الاسلوب الى كل فرد من افراد المشبه ومقابله
بلبته من المشبه به والثاني ان يكون من التشبيه المفرق فيقابل كل واحد من اجزاء المثل
بالمثل به وعلى هذا فيكون قد شبه الايمان والتوحيد في علوه وسعته وتشرفه بالسماء
التي هي مصعده ومهبط قمنا ينبغي ان ينزل الى الارض واليها يصعد منها وشبه تارك الايمان
والتوحيد بالساقط من السماء الى اسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والالام
المتراكمة والطير الذي يخطف اعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي توسوس اليه اسكنها
وتعالى عليه نوازله اذا وترجمه وتقلقه الى قطاه هلاكه فكل شيطان له نزعة من قلبه
وقلبه كما ان لكل طير من تلك نزعة من لحمه واعضائه والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو
هواه الذي حمله على الكفر فتفسر في اسفل مكان وابعده من السماء **فصل**
ومنها قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا
يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي
عزيز حقيق على كل عبد ان يستمع لهذا المثل ويتدبره حق تدبره فانه يقطع
موارد الشرك من قلبه وذلك ان المعبود اقل درجاته ان يقدر على ايجاد ما ينفع عابده
واعدام ما يضره والالهة التي يعبدها المشركون من دون الله لم تقدر على خلق
ذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ما هو اكبر منه ولا يقدرون على استنقاذ
ما يأخذ الذباب اذا سلبهم شيئا مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذوه منه فلا هم
قادرون على خلق الذباب الذي هو من اضعف الحيوان ولا على الانتصار منه و
استرجاع ما سلبهم اياه فلا اعجز من هذه الالهة ولا اضعف منها كيف يستحسن
عاقل عبادتها من دون الله تعالى وهذا المثل من ابلغ ما انزل الله سبحانه في بطلان

الشرك

وتجهيل لطلوبهم وتقبيح عقولهم والشهادة على اولئك الشياطين قد تلاعب بهم اعظم تلاعب
الصبيان بالكرة حيث اعطوا الالهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات
والاحاطة بجميع المعلومات والغنى عن جميع المخلوقات وان يصمد اليه الرب في جميع
الحاجات وتفريج الكربات واغاثة اللهفات واجابة الدعوات فاعطوها صورا و
تماثيل تمتنع عليها القدرة على مخلوقات الالهة الحق واذلها واصغرها واحقرها
ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه **وادل دليل** على عجزهم وانتقاء الهيتهم ان
هذا الخلق الاقل الاذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئا واستلبه فاجتمعوا
على ان يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه ثم سوى بين العابد والمعبود
في الضعف والعجز بقوله ضعف الطالب والمطلوب قيل للطالب العابد والمطلوب
المعبود فهو عاجز متعلق بعاجز وقيل هو تسوية بين السالب والمسلوب وهو
تسوية بين الاله والذباب في الضعف والعجز وعلى هذا فالطالب الاله الباطل والمطلوب
الذباب يطلب منه ما استنقذه منه وقيل الطالب الذباب والمطلوب الاله فالذباب
يطلب منه ما يأخذه من حلية والصحيح اداة اللفظ بتناول الجميع فضعف العابد والمعبود
والمستلب ثم جعل هذا الجامع القوي العزيز فما قدروه حق قدره والعرفوه حق معرفته
ولا اعظموه حق عظمته **فصل ومنها** قوله تعالى **ومثل الذين كفروا**
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون
تضمن هذا المثل ناعقا اي مصوتا بالغنم وغيرها ومنعوقا به وهو الدواب فقيل الناعق
هو الغابد وهو الراعي للصنم والصنم هو المنعوق به المدعو وان حال الكافر في دعائه
كحال الذي ينعق بما لا يسمع هذا قول طائفة منهم عبد الرحمن بن زيد وغيره واستشكل
صاحب الكشاف وجماعة معه هذا القول وقالوا قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه
لان الاصنام لا تسمع شيئا دعاء ولا نداء وقد اجيب عن هذه الاشكال بثلاثة اجوبة
احدها ان الزيادة والمعنى بما لا يسمع دعاء ونداء قالوا وقد ذكر ذلك الاصمعي في قول
الشاعر حراجيج لا ينفك الا مناخة اي ما ينفك مناخة وهذا جواب فاسد فان لا
لا تراد في الكلام الجواب الثاني ان التشبيه وقع في مطلق الدعاء في حضور
صلت للدعو الجواب الثالث ان المعنى ان مثل هؤلاء في دعائهم الهتهم التي

لا تفقه دعاءهم كمثل الناعق بغنمه فلا ينتفع بنعقته بشيء غير انه في دعاء ونداء
وكذا الشرك ليس لمن دعائه دعاء ولا ندا الا العنى وقيل المعنى ومثل الذين كفروا بالتي
التي لا تفقه ما يقول الراعي الا نفس الصوت فالراعي هو داعي الكفار والكفار هم المنعوق بها
المنعوق بها قال سيبويه المعنى ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق
وعلى قوله فيكون المعنى ومثل الذين كفروا داعيهم كمثل الغنم والناعق بها وذلك ان
تجعل هذا من التشبيه المركب وان يجعله من التشبيه المفرق فان جعلته من المركب
كان تشبيها للكفار في عدم فقههم وانتفاعهم بالغنم التي ينعق بها الراعي فلا
تفقه من قوله شيئا غير الصوت المجرد الذي هو الدعاء والنداء وان جعلته من التشبيه
المفرق فالذين كفروا عن تقبل البهائم ودعائهم الى الطريق والهدى بمنزلة الغنم وادراكهم
لمجرد الدعاء والنداء كادراك البهائم لمجرد صوت الناعق والله اعلم **فصل ومنها** قوله تعالى **مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل**
الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف
لمن يشاء والله واسع عليم شبه سبحانه نفقة المنفق في سبيله كما كان المراد
بها الجهاد او جميع سبل الخير من كل جزء من بذر فانبتت كل حبة سبع سنابل
اشتملت كل سنبلة على مائة حبة والله يضاعف بحسب حال المنفق واخلاصه
خلاصه ولحسانه ونفع نفقته وقدرها ووقوعها موقعها فان ثواب الانفاق
يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الايمان والاخلاص عند النفقة وهو اخراج
المال بقلب ثابت قد انشرح صدره باخراجه وسمحت به نفسه وخرج من قلبه قبل
خروجه من يده فهو ثابت القلب عند اخراجه غير جزع ولا هلع ولا متبع نفسه
ترجف عليه وفؤاده ويتفاوت بحسب نفع الانفاق ومصارفه المواقع وبحسب طيب
المنفق وذكاهم وتحت هذا المثل من الفقه انه سبحانه شبه الانفاق بالبذر فالمنفق
مالك الطيب سرا للبذر باذنها له في ارض زكية فتعلم بحسب بذره وطيب ارضه و
تعاهد البذر بالسقي ونفي الدغل والنبات الغريب عنه فاذا اجتمع هذه الا
مور وكملت نمت الزرع اضعافا كثيرة لكثرة جانبه جاء امثال الجبال وكان
مثله كمثل حبة بربوة هي المكان المرتفع الذي تكون الحبة فيه نصب الشمس والرياح

تنزع الاشجار هناك اذ لم تر سترة فتزلق عليها من السماء مطر عظيم القطرات يتبع قرقرها
وتماحيتها اكلها ضعفين ما توتيه غيرها بسبب ذلك الوابل وان لم يصبها وابل فطل مطر
صغير القدر يكفيها لكرم منبتها نزكوا على الطل وتنمى عليه مع اه في ذكر نوعي الوابل
والطل اشارة الى نوعي الانفاق الكثير والقليل فمن الناس من يكون انفاقه وابلا ومنهم
من يكون انفاقه طلا وليس لاحد ان يضيع مثقال ذرة فلا عرض لهذا العامل ما يغرى اعماله و
يبطلها حسنات كان بمنزلة رجل له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها
من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت فما
ذا كان يوم استيفاء الاعمال واحرز كل عامل عمله قد اصابه ما اصاب صاحب
هذه الجنة فحسرته حينئذ اشد من حسرة هذا على جنته فهذا مثل ضربه الله سبحانه في
الحسرة لسبب النعمة عند شدة الحاجة اليها مع عظم قدرها ومنفعتها والذي ذهبت عنه
قد اصابه الكبر والضعف فهو احوج ما كان الى جنته ومع هذا فله ذرية ضعفاء لا يقدرون
على نفعه والقيام في مصالحه بل هم في عياله فما اجدر الجنة حينئذ اشبهها كانت لله
لضعفه وضعف ذريته فكيف بكم هو حال هذا اذا كان له بستان عظيم فيه من جميع
الفواكه والثمر وسلطان عمره لجل الفواكه وانفعها وهو ثمر التجمل والاعناب فجعل يقوم
بكفايته وكفاية ذريته فاصبح يوما وقد وجده محترقا كله كالصريم فاي حسرة اعظم
من حسرته قال ابن عباس هذا مثل الذي ختم له بالفساد في آخر عمره وقال مجاهد هذا
مثل المفرط في طاعة الله حتى يموت وقال السدي هذا مثل للرياء في نفقته الذي ينفق
لغير الله ينقطع عنه نفعها احوج ما يكون اليه وسئل عمر ابن الخطاب الصحابة رضي الله عنهم
يوما عن هذه الآية فقالوا الله اعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في
نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثل لعمل قال
اي عمل قال لرجل غني يعمل بالحسنات ثم بعث الله الشيطان فعمل بالمعاصي حتى احاط
اعماله كلها قال الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعيف جسيم
وكثير حسناته افقر ما كان الى جنته وان احمق والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت
عنه الدنيا فصل فاذا عرض لهذه الاعمال من الصدقات ما يبطلها من المن والاذى
والرياء والرياء يمنع انعقادها سببا للثواب والمن والاذى يبطل الثواب الذي كان سببا

لم تقبل

لم تقبل صاحبها فبطلان عمله كمثل صفوان وهو الحجر الاملس عليه تراب فاصابه وابل فاذهب التراب
الشديد فتركه صلدا لا شيء عليه وتامل كيف آخر هذا المثل البليغ وانطباقها على الجزاء الممثل به
تجد عطفة القرآن وجلالته فان الحجر في مقابلة قلب هذا المرائي والماء والوابل في مقابلة
ما في قلبه من الاخلاص بمنزلة الحجر والعمل الذي لغير الله بمنزلة التراب الذي
على ذلك الحجر فهو ما تحته وصلابته تمنعه من الثبات والبناء عند نزول الوابل فليس
له مادة متصلة بالبر يقبل الماء وينبت الكلأ وكذلك قلب المرائي ليس له ثبات عند
وابل الامر والنهي والقضاء والقدر فاذا نزل عليه وابل الوحي انكشف عنه ذلك التراب
اليسير الذي كان عليه فبرز ما تحته صخرا صلدا لا نبات فيه وهذا مثل ضربه الله سبحانه
لعمل المرائي ونفقته لا تقدر يوم القيمة على ثواب شيء منه احوج ما كان اليه وبالله التوفيق

فصل ومنها قوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم
ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون هذا مثل ضربه الله
تعالى لمن انفق ماله في غير طاعته ومرضاته فشبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من اموالهم
في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبغون به وجه الله وما ينفقونه
ليصطنع عن سبيل الله واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام بالزرع الذي زرعه
صاحبه يرجو انفعه وخيره فاصابته ريح شديدة البرد جدا يحرق بردها ما يحمله
من الزرع والثمار فاهلكت ذلك الزرع وايبسته واختلف في الصر فقيل البرد الشديد
وقيل النار قاله ابن عباس وقال الانباري وانما وصفت النار بالصر لتصريتها عند
الالتهاب وقيل الصر الصوت الذي يسمع الريح من شدة هبوبها والاقوال الثلاثة
هنا رمتة فهو برد شديد محرق سببه للحرق كما تحرق النار وفيه صوت شديد وفي
قوله لصابت حرث قوم ظلموا انفسهم تنبيه على ان سبب اصابتها لحرثهم هو ظلمهم فهو
الذي سلط عليهم الريح المذكورة حتى اهلكت زرعهم وايبسته فظلمهم هو الريح التي
اهلكت اعمالهم ونفقاتهم واتلفتها فصل ومنها قوله تعالى
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون هذا ضرب الله سبحانه للمشركين والموحد فالمشرك
بمنزلة عبد تملكه جماعة مشتركون في خدمته لا يكتفي رضاهم جميعا والموحد كمالك
يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد رجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده الى ضاة فهو في راحة
من تشاحي الخطاء فيه بل هو سالم لمالكه من عن منازع فيه مع رافة مالكه به ورحمته
له وشفقته عليه واحسانه اليه وتوليته بصالحه فهو يستوي هذا العبد ان وهذا من ابلغ
الامثال فان الخالص لمالك واحد مستحق من معونته واحسانه والتفاته اليه وقبل
صالحه ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسة الحريص بل اكثرهم لا يعلمون فحصل
ومنها قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح
وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا
عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا
للذين امنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني
من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنة عمران التي احصنت
فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين
فاشتملت هذه الايات على ثلاثة امثال مثل للكافر ومثلين للمؤمنين فتضمن مثل
الكافرين الكافر تعاتب على كفره وعداوته لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وادى
ليا به ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين من لحمة نسب او وصلة صهر او سبب
من سبب الاتصال فان الاسباب تنقطع يوم القيمة الا ما كان منها متصلا باسبابه
على ايدي رسله عليهم الصلاة والسلام فلو نفعت وصلة القرابة او المصاهرة او النكاح
مع عدم الايمان لنفعت الوصلة التي كانت بين نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام
وامرأتيهما فلما لم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل لهما ادخلا النار مع الداخلين
قطعت الآية حينئذ طمع من ارتكب معصية الله تعالى وخالف امره رجاء
ان تنفعه صلاح غيره من قريب او اجنبي ولو كان بينهما في الدنيا اشد الاتصال
فلا اتصال فوق اتصال النبوة والابوة والزوجية ولم يغن نوح عليه الصلاة
والسلام عن ابنه ولا ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن ابيه ولا نوح ولوط

عليهما

عليهما الصلاة والسلام عن امرأتيهما من الله شيئا قال الله تعالى لن تنفعكم ارحامكم
ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم وقال تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ
وقال تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا وقال تعالى واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وهذا كله تكذيب لادعاء
المشركين الباطلة ان من تعلقوا به من دون الله من قرابة او صهر او نكاح او
صحبة ينفعهم يوم القيمة او يجيرهم من عذاب الله تعالى او تشفع لهم عند
الله تعالى وهذا اصل ضلال بني آدم وشركهم وهو الشرك الذي لا يغفره الله
وهو الذي بعث الله تعالى جميع رسله عليهم الصلاة والسلام وانزل جميع
كتبه بابطاله ومحاربة اهله ومعاداتهم فصل واما المثلان
اللذان للمؤمنين فاحدهما امرأة فرعون ووجه المثل ان اتصال المؤمن بالكافر
فلا يضره شيئا اذا فارقه في كفره وعمله فمعصية العاصي لا تضر المطيع شيئا في
الآخرة وان تضرر بها في الدنيا بسبب العقوبة التي تحل باهل الارض اذا
اضاعوا امر الله عز وجل فتاتي عامة فلم تضر امرأة فرعون اتصالها بهما وهو
من اكفر الكافرين ولم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما وهما رسولا
رب العالمين المثل الثاني للمؤمنين مريم التي لا زوج لها لا مؤمن
ولا كافر فذكر ثلاثة اصناف النساء المرأة الكافرة التي لها وصلة بالرجل
الصالح والمرأة الصالحة التي لها وصلة بالرجل الكافر والمرأة العزبة التي لا
وصلة بينها وبين احد فالاولى لا ينفعها وصلتها وسببها والثانية لا تضرها
وصلتها وسببها والثالثة لا تضرها عدم الوصلة شيئا ثم في هذه
الامثال من الاسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فانها سيقت
في ذكر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم والتحذير من تظاهرهن عليه وان
لهن ان لم يطعن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويردن الدار الآخرة لم
ينفعهن اتصالهن برسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم ينفع امرأة نوح ولوط
اتصالهما بهما ولهذا ضرب امثلتي هذه السورة مثل اتصال النكاح
دون القرابة قال يحيى بن سلام ضرب الله المثل الاول بحذر عائشة وحفصة

www.alukah.net

ثم ضرب لهما المثل الثاني يحوضهما على التمسك بالطاعة وفي ضرب المثل للمؤمنين أيضا اعتبار آخر وهو أنها نضرها عند الله شيء فتقف لعداء الله تعالى اليهود فينتهزونها الكلمة يراها الله عز وجل الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين فلا تضر الرجل الصالح فتقف الفجار والفساق فيرون في هذا تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الأفك ولو طيب نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبلها كما في التمثيل بامرأة نوح ولوط تحذيرها وتخفيفا مما اعتمدته في حق النبي صلى الله عليه وسلم فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن والتخويف والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد والتسلية وتوطين النفس لمن أوذي منهن وكذب عليه وأسرار التنزيل خوفه هذا وجله منه ولا سيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون تمت بحمد الله حسن توفيقه وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما اللهم اغفر لكاتبها ولقارئها ومستدرها حتى تدرها ولمصنفها وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات آمين والحمد لله رب العالمين

نقل الفقير المدين تعالى علي ابن زيد
الى يلتمس عفو الله ولوا
لديه والجميع آمين

وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة يوم الاثنين أحد شهور سنة ستة وسبعين بعد المئتين والألف من هجرة من هي تربته أفضل الصلاة والسلام

مال [illegible] العثيمين

الرقم التاريخ تلفون ٥٣٢٠٩٠٠

المجمع العلمي العراقي
الشعبة الفنية
قسم الميكروفيلم
الرقم التاريخ
تلفون ٥٣٢٠٩٠٠

المؤلف ابن اليتيم
المصدر مكتبة الأوقاف العامة / بغداد
عدد صفحاته ١٦
حجمه